المظاهر الاجتماعية في شعر لسان الدين بن الخطيب – دراسة تحليلية –

م .د . مهند يونس رشيد

كلية الآداب– جامعة الموصل

الكلمات المفتاحيّة: الادب. ابن الخطيب. الاندلس

الملخص:

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على المظاهر الاجتماعية الايجابيّة والسلبيّة بالأندلس في شعر لسان الدين بن الخطيب في عصر بني الأحمر، إذ عبرّت هذه المظاهر عن واقع المجتمع وبيئته ايجابًا وسلبًا أواخر عصور الأندلس، بالوقوف في المبحث الأول عند(الأعياد والمناسبات الدينيّة المتمثلة بأعياد المولد النبوي الشريف وعيديّ الفطر المبارك والأضحى المبارك، والاحتفال بليلة القدر، ووصف بعض الألعاب الترفيهيّة، وبعض العادات الخاصة بالمجتمع الأندلسي آخر عهده كوصف المآكل وفئات المجتمع، والاحتفال بالحذقة والدعوة إليها، وسكين الكّم، ووصف مظاهر الترف والنعمة والعيش الرغيد والتعبير عن واقعها الذي عاشه آخر حكّام الأندلس وغير ذلك من المظاهر الايجابيّة)، والمبحث الثاني وقفنا فيه عند المظاهر السلبيّة التي تمثلّت ببعض العادات السيئة التي جاءت نتيجةً طبيعيّةً لحياةِ التّرفِ واللّهوِ كـ(تعاطي النباتات المخدرة(القُنّبْ)، وتوظيف الألفاظ العاميّة في الشعر الفصيح، والغزل بالغلمان وخاصّةً السود، ووصف مظاهر الفقر كالتسوّل والكدية للطبقة الفقيرة المُعدَمة عند عامة الشعب، والتعبير عن واقعها) .

المقدمة:

تُعدُّ المظاهر الاجتماعية انعكاسًا للأوضاع الثقافيّة والمعرفيّة والدينيّة التي تعيشها الأُمم، وهي بهذا تختلف من مكان إلى آخر باختلاف هذه الأصول، فبعض الأُمم تتميّزُ بمظاهر اجتماعيّة حضاريّة استطاعت بها أن تعكس أبهى الصور الايجابيّة عنها، في مقابل ذلك أنّ أُممًا أخرى لم تستطع أنْ تتجاوز حاجز الشكليّات والعادات السلبيّة البالية التي تعيقُ مسيرة التطور الإنساني، وتَحولُ بين الإنسان وبين أحداث نهضة حقيقيّة فعلية وواقعيّة، وقد تتأثر المظاهر الاجتماعيّة أيضاً بأوضاع الأمة السياسيّة والاقتصاديّة، فالأُمم في أوقات الانحطاط والتراجع تشهد تراجعًا على الصعيد الاجتماعي إلى جانب ذلك فإن شدة تعقيد أو بساطة

المجتمع تلعب دوراً كبيراً في تحديد شكل تلك المظاهر الاجتماعيّة المنتشرة بين الناس، وبلاد الأندلس شهدت على مدى ثمانية قرون انجازات حضاريّة متنوعة ومتعددة حسب الحاجة إليها؛ لخدمة الإنسانيّة، ورغبة الحُكّام في خدمة الرعيّة، وعبرّت عن تلك الانجازات بالإبداع الأدبي الشعري، الذي نقل إلينا صورة الواقع المُعاش في المدّة الأخيرة لتلك البلاد عبر مظاهره الاجتماعيّة(الايجابيّة والسلبيّة) بكليّاتها وجزئياتها ما تعلّق بها بالأندلس والمغرب كـ(الأعياد والمناسبات الدينيّة المتمثلة بأعياد المولد النبوي الشريف وعيديّ الفطر المبارك والأضحى المبارك، والاحتفال بليلة القدر، ووصف بعض الألعاب الترفيهيّة، وبعض العادات الخاصة بالمجتمع الأندلسي آخر عهده كوصف المآكل وفئات المجتمع، والاحتفال بالحذقة والدعوة إليها، وسكين الكّم، ووصف مظاهر الترف والنعمة والعيش الرغيد والتعبير عن واقعها الذي عاشه آخر حكّام الأندلس وغير ذلك من المظاهر الايجابيّة)، أما المظاهر السلبيّة تمثلّت ببعض العادات السيئة التي جاءت نتيجةً طبيعيّةً لحياةِ التّرفِ واللّهوِ كـ(تعاطي النباتات المخدرة(القُنّبْ)، وتوظيف الألفاظ العاميّة في الشعر الفصيح، والغزل بالغلمان وخاصّةً السود، ووصف مظاهر الفقر كالتسوّل والكدية للطبقة الفقيرة المُعدَمة عند عامة الشعب، والتعبير عن واقعها)، فكان عنوان البحث بـ(المظاهر الاجتماعيّة في شعر لسان الدين بن الخطيب دراسة تحليليّة) واعتماد هذه المظاهر من الموروث الأدبي الشعري كمظهر حضاري عايشه الشاعر لسان الدين بن الخطيب وصوّره لنا صورةً واقعيّةً حيّةً، جاءت على مظهرين اثنين: الأول: المظاهر الايجابيّة، والثاني: المظاهر السلبيّة .

التعريف بالشاعر:

هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السّلماني (713هـ/776هـ)، قرطبي الأصل، ثم طليطليّ، ثم لوشيّ، ثم غرناطيّ، يكنى أبا عبد الله، ويلقّب من الألقاب المشرقية بلسان الدين، عُرِفَ في القديم بابن الوزير، وفي الحديث بلوشة بابن الخطيب[1]؛ إذ غلب عليه هذا اللقب" نسبةً إلى لقبٍ اكتسبَهُ أحد أجداده سعيد"[2] الذي كان يعمل خطيبًا، كما ورد اسم الشاعر في عالم السياسة فقد كان لمدة طويلة وزيراً خطيراً ذا شأن، ويُذكَرُ في عالم الكتابة والنثر الفني أيضًا، فقد شغل منصب كاتب ثم صار رئيس الكُتّاب، وهو أحد أبرز شعراء الأندلس في القرن الثامن الهجري- عصر بني الأحمر- له قصائد وموشّحات ومقطوعات كثيرة، ومن جهة أخرى فهو مؤلف مُصنّف مدَّ يدَهُ إلى موضوعاتٍ مُتعدَدة من جوانب العلم والثقافة والمعرفة والأدب والطب والحكمة، وله فيها مؤلفات عديدة[3]، من هنا نجد أن الشاعر لسان الدين بن الخطيب برعَ في الجمع بين السياسة

والأدب، والشعر والنثر، والتاريخ والطب والموسيقا، والمقامات في وصف الرحلات والبلدان، فلنا الحق بوصفهِ أنهُ أبرع كاتب خرّجته بلاد الأندلس في عصورها الأخيرة .

المبحث الأول: المظاهر الاجتماعيّة الايجابيّة في الأندلس والمغرب:

أولاً: الأعياد والمناسبات الدينيّة في المغرب والأندلس:

من المظاهر الايجابية التي شكلّت أنموذجًا حيًّا في التعايش السلمي والتسامح الإنساني المثالي بين أطياف المجتمع الأندلسيّ، التي عايشها الشاعر لسان الدين بن الخطيب، فمثّل ذلك التعايش"النموذج الأمثل لالتحام العناصر البشريّة التي كانت قوام هذا المجتمع؛ ممّا ساعد على توطئة السُبل لتأجيل الحوار البَنّاء بين الثقافات...؛ بما يساعد على نشر أسباب السلم والأمن في عالمٍ يتهددهُ الإرهاب والعنف والعنصريّة والتسلّط والاستهتار بحقوق الشعوب وممارسة العقيدة والشعائر الدينيّة الخاصة بكلِ طائفة"[4]، فكان للتسامح والمحبة والتعاون والنتاج العلمي في القرون الثمانية الأولى من الوجود الإسلامي بإسبانيا وفي كل مجالات الحياة أثره الثقافي والأدبي والفني، إذ امتزجت الممارسات والتقاليد الاجتماعيّة كالغناء والموسيقى والرقص والزواج والاحتفالات بالأعياد والمناسبات الدينيّة والدنيويّة والختان للأولاد والانتصارات في المعارك... إلخ؛ ممّا أفضى إلى إفراز أنماط فنيّة مبتكرة عبارة عن خليط لتلك العادات والتقاليد للأقوام التي عاشت على أرض إسبانيا، تميزّت بطابع الأصالة والتجدُد والتدقيق للحياة انخرط في ابداعها وتطويرها أبناء الديانات الثلاث من عربٍ وبربرٍ وزنوجٍ وقوطٍ وصقالبةٍ[5]. من هنا نجد أن المجتمع الأندلسيّ يتمتع بصفاتٍ وخصائص متنوعة ومتعددة ومختلفة في الأعرافِ والأديانِ والتقاليدِ والثقافاتِ والمهاراتِ والإبداعاتِ؛ كونه جاء من ولايات متعددة من المشرق والمغرب، فهو كالفسيفساء ذات الألوان المختلفة؛ لكنهم أحيانًا يجتمعون تحت لواء دينٍ واحد أو قبيلةٍ أو ثقافةٍ واحدة وطموحٍ واحدٍ هو العيش والاستقرار وإرضاء الله- سبحانه وتعالى-.

بدورها أفرزت لنا هذه الثقافات بعض الخصال الحميدة التي أكدّت على مدى التطور الحضاري في الأندلس، والذي بدوره ازدهر المجتمع الأندلسيّ وترك بصماته الواضحة في الكثير من الجوانب في الثقافة الدينيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، فنجد في الجانب الدينيّ احتفال المسلمين في المغرب والأندلس بأعيادهم الدينيّة كـ" ليلة الإسراء والمعراج، وليلة القدر، وعيد الفطر المبارك، وعيد الأضحى المبارك، والمولد النبوي الشريف"[6]، وهذه الأعياد التي كان الأندلسيون يحتفلون بها كـ" الفطر في اليوم الأول من شوال، والأضحى في اليوم العاشر من ذي الحجة من كل عام، كما كانوا يحتفلون بليلة القدر في السابع والعشرين من

رمضان في المساجد والأربطة والقصور والمساكن المتواضعة، فتُقام الصلوات وتتلى الآيات البيّنات من الذكر الحكيم، ويستمعون إلى وعظ أهل التقوى والورع، إلى جانب الأناشيد وحلقات الذكر التي كان يصاحبها العزف على بعض المزامير المسمّاة بالشّبابة أو اليراعة، وفي آخر الليل كانت تُقدّم الأطعمة والحلوى ويظل الاحتفال حتى مطلع الفجر"[7]، وغيرها من المناسبات الدينيّة، حتى كان احتفال الغرناطيين بالأعيادِ عظيمًا؛ ولكن في حدود الاعتدال[8].

أ- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف :

من هذه المناسبات التي نجد لابن الخطيب أثراً شعريًّا فيها الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، إذ " اتخذ الاحتفال بالعيد النبوي تقاليدَ خاصّة على مرّ العصور؛ ولكن اللذين أعطوه هذه التقاليد الخاصّة وكسوهُ رونقًا رائعًا هم المرينيون(*) وبخاصّةٍ في عهد الحسن"[9]، إذ يصور لنا الشاعر لسان الدين بن الخطيب ذلك في قوله:[10]

وفي ليلية الميلادِ أكبر آيةٍ تَخُرُّ الجبالُ الراسياتُ لها هدّا
أشادت بها الكُهّانُ قبلَ طلوعها ومن هولها ايوان كسرى قد انهدّا
فيا ليلةً، عظّمَ الله قدرها وأنجزَ للنورِ المُبينِ بها وعدا
حقيقٌ علينا أنْ نحُلَّ لكَ الحُبَى ونقريكَ منّا، البِرَ والشُكرَ، والحمدا
ونجعلُ منكَ اليومَ عيداً ومَشهداً نُشيعُ من الذكرِ الحكيمِ بهِ شهدا
نَخْلَعُ مِنْ أمدَاحِ "أحمدَ" حُلَّةً عليكَ ومن منظومِ آياتهِ عِقدَا

ينقل لنا الشاعر ابن الخطيب في شعره ما كان يحدث في ليلة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ويومهِ، إذ كان يُعقَدُ تجمعًا للناس في المساجد كما يحدث في زماننا هذا؛ للاحتفال بهذه المناسبة وإعطاءها الأهميّة؛ حُبًّا بالرسول(ﷺ) وذكر معجزاتهِ ومآثرهِ، كما يصف لنا ما كان يحدث من أحداث في الاحتفال بهذه المناسبة الدينيّة، كقراءة القرآن، والشكر والحمد لله على مبعث الرسول الكريم(ﷺ) وجعل هذا اليوم مشهوداً وعيداً تراهُ وتسمعُ به الدنيا بأجمعها، ومدحهِ بأعظمِ الصفات والمعجزات التي اتصف بها، وفي الوقت نفسه يذكر الشاعر اهتمامَ الخليفة وحبه للنبي(ﷺ) وآله وصحبه، وتأييده للاحتفال بهذه المناسبة المباركة، فكان الأندلسيون يحتفلون بالأعياد الدينيّة الإسلاميّة كباقي المسلمين، غير أنّ أهم احتفال في حياة ابن الخطيب كان الاحتفال بالمولد النبوي، فيه ينشد الشعراء قصائدهم اقتداءً بملوك المغرب[11]، فيصور في شعره بعض معجزات النبي(ﷺ) برؤية الكُهّان تحقُق مبعثهِ، ورؤية حقيقة ايوان كسرى المتساقط حسيًّا ومعنويًّا وزوال عرشه وتاجه بمولد النبي(ﷺ)، إذ

تحققت هذه الرؤية بعد عدة سنوات من مبعثه(ﷺ) فكانت خير ليلة يُعيد المسلمون فيها تلك الذكرى المُبشرة من الله- سبحانه- بمولد النبيّ(ﷺ) وسقوط كسرى وعرشه .

كما يصف لنا الشاعر ابن الخطيب وقت الاحتفال الذي كان يُعقَدُ فيه التجمع ليلة الاحتفال بالمولد الشريف، بوصفه ساعة المنكانة(*) التي اختصّ بوصفها كمظهر حضاري اجتماعي يشير إلى التطور الحاصل في عصر بني الأحمر مقابل تطور الأحداث السّياسيّة التي عصفت بدولة الأندلس فيما بعد، وتكون المنكانة على هيئة" خزانة ذات تماثيل لجين مُحكَمة الصنع، بأعلاها أيكة تحمل طائراً، فرْخَاهُ تحتَ جناحيهِ، ويختله فيهما أرقم، خارج من كوّة بجذر الأيكة صُعُدا، وبصدرها أبواب مُرتجّة، بعدد ساعات الله الزمانيّة، يُصاقب طرفيها بابان كبيران، وفوق جميعها دُوَيْن رأس الخزانة، قمر أكمل يسير على خط الاستواء سير نظيره من الفُلك، ويُسامت أول كل ساعة بابها المرْتَجّ، فَيَنقَضُّ من البابين الكبيرين عقابان بفي كل واحد منهما صنجة صُفْر، يُلقيها إلى طَسْت من الصُّفْرِ مجوّف، بوسطه ثقب يُفضي إلى داخل الخزانة فيرّن، وينهش الأرقم أحد الفرخين، فيصفِرُ له أبواه، فهنا يفتحُ باب الساعة الذاهبة، وتبرز منه جارية مُحتزِمة، كأظرفِ ما أنت راءٍ، بيُمناها إضبارة فيها اسم ساعتها منظومًا، ويسراها موضوعة على فيها، كالمبايعة بالخلافة..."[12]، فتُعلَم بذلك الساعة ووقت الأُنس الذي كان يشهده معظم الناس في هذه الليلة من ذلك يقول الشاعر:[13]

ساعةٌ أولى من الليل انقضت شرعت شرع الرضيّ وافترضت
ومضت من بعدِ أُنسٍ وكذا ساعةُ الأُنسِ إذا سرت مضت

فالشاعر يجد في هذه الليلة أن ساعات الأُنس تمضي سريعًا، وفي قوله إشارة إلى وقت التجمع لهذا الاحتفال وبعض ما يحدث فيه" فقد تابع وصفه إلى الساعة الحادية عشرة، محاولاً إضفاءَ معانٍ صوفيّة على وصفه"[14]، إذ يؤكد على أهميّة هذا الاحتفال ووقت حدوثه معبراً عن الحالة التي يصل إليها معظم المحتفلين من المحبّة والتبجيل للنبي(ﷺ) ومكانته عندهم، ومعبراً في هذه المقطوعة عن أُنس النفوس بهذا العيد وحبه والتأخر بالسهر لأجله حتى ساعات متأخرة من الليل بتضمينه وصف ساعة المنكانة، والدقة في تحديد الوقت .

ويقول أيضًا في وصف ساعة المنكانة:[15]

مولاي ستٌ من الظلام مضت كالمسكِ في صبغَةٍ وفي أرجِ
أجزاءُ ليلٍ مرّت كما انطلقت كفَّ على سُبحَةٍ من السَّبج

فكان الاحتفال بالمولد يستمر أيّامًا وليالٍ يُتلى فيها القرآن الكريم، ويُنشِدُ الشعراءُ العيديات وتُنحرُ الذبائح، وتُقامُ الولائم[16]، من هنا يصف الشاعر مدة الاحتفال يستمر لست ساعات

ليلاً، فيها من الأنس والراحة والألق كرائحة المسك الطيبة التي ترتاح النفس باستنشاقها، وربط عطر المسك بهذه المناسبة؛ كونه أطيب العطور، وله الأهميّة الدينيّة عند المسلمين؛ كونه عطراً لتراب الجنة، ومع كل هذا يمثل هذا الاحتفال الاحتفاء بولادة سيد الخلق محمد(ﷺ) .

ب- الاحتفال بليلة القدر، وعيد الفطر، وعيد الأضحى :

كان الأندلسيون يعشقون الحياة ومباهجها، وما فيها من مناسبات وخاصّة الدينيّة منها؛ إذ يعُدُّونها مجالاً ومُتَنفسًا للتعبيرِ عن فرحهم بها، فكانت الحياة لديهم سلسلة من الأعياد المتصلة "الحسنة المائلة إلى الاقتصاد، والغناء بمدينتهم فاشٍ حتى بالدكاكين التي تجمع كثيراً من الأحداث"[17]، وممّا جاء على لسان الدين بن الخطيب عن الاحتفال بليلة القدر وفضلها على سائر الليالي قوله:[18]

أيا ليلةً بالخَصْبِ لمْ تألُ شهرةً كما اشتهرت في فضلها ليلةُ القدر
فآمنَ قلبُ اللّوزِ من علَّةِ النّوا وأصبحَ فيها التينُ مُنشرِحَ الصّدرِ

نجد أنّ الشاعر ضمن نصه استعارة مكنية إذ شبه التين(بالإنسان) وهو المشبه به المحذوف والذي أشار إليه بأحد لوازمه وهو(انشراح الصدر والفرح)؛ ليدلل على انشراح الصدر والفرح في هذه الليلة، وأنها ليلةٌ مشهورة عند المسلمين ومن عايشهم واختلط بهم من الديانات الأخرى ضمن المجتمع الأندلسيّ . وقوله:[19]

هنيئًا بِمَنْ حَثَّ الرّكائبَ في بدرٍ ومَهبِطَ وحْيِ اللهِ في ليْلةِ القَدْرِ

كما أكد أيضًا على فضلها، فهي خيرُ ليلةٍ في آخر ليالي رمضان الذي هو خير الشهور، فيها ينزل جبريل- عليه السلام- بأمرِ ربهِ، فتُنشَر الرحمة والسلام حتى مطلع الفجر، ومصوراً الراحة النفسيّة، والتزايد الإيماني وانشراح الصدر كما وصفها الله – سبحانه وتعالى- في قوله:((سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ))[20] ، وأنّ هذه الليلة المباركة في شهر مبارك يأتي في ختامه عيد الفطر المبارك الذي كان المسلمون في الأندلس والمغرب يحتفلون ويسعدون بمقدمهِ، وهذا ما نقله لنا ابن الخطيب فقال:[21]

واسْعَدْ بعيدٍ أعادَ الدهّرَ مُبتهجًا في ظلِ ريعانةٍ، والسّعدَ مُقتبلاً
وازلفْ بصومٍ حَبَيْتَ الذّكرِ وافِدَهُ قِرىً، وأَخْلَصْتَ فيه القولَ والعَملا

فكان عيدُ الفطر عيدُ سَعدٍ وابتهاجٍ، يقدُمُ بعدَ أداءِ ركنٍ عظيمٍ من أركان الإسلام وهو الصوم، الذي يجزِ بهِ الله- سبحانه وتعالى- الصائم خير جزاء لقاء الإخلاص في العبادة قولاً وعملاً، فنجد صورة السعادة التي يسعد لأجلها الدّهر ويبتهج؛ كونه موسمٌ للتّعبُد والإيمان

الصادق بكل ما فيه من أقوال وأفعال، والله وحدَهُ من يجزِ به، وهو بالنسبةِ لهم ضيف عزيز لا يُمّل منه كما جاء على لسان الدين بن الخطيب:[22]

فللّهِ من ضيفٍ حميدٍ مقامُهُ لدينا، فلو طالَ المقامُ لمَا مُلاّ
نوى ظعنًا قبلَ الوداعِ مُبادِراً فجادَ الحيا مثواهُ أن يتماحلا

حتى يصف لنا تمني المسلمون بقاءَه العامَ كُلّه، فلا مللَ منه ولا ضجر، كالضيف الذي ينزل طارقًا خفيفًا فسرعان ما يذهب ويرتحل، ويجعله الشاعر كذلك(نوى ظعنًا)؛ ليضفي عليه صفة من صفات الإنسان على سبيل الاستعارة التصريحيّة، كما كان المسلمون أيضًا يحتفلون بعيد الأضحى المبارك الذي يقدُمُ بعدَ أداءِ شعيرةٍ وركنٍ عظيمٍ ألا وهو(الحّج) الركن الخامس من أركان الإسلام، وكان يحدث في هذا العيد لغير الحجّاج أن يتقربونَ إلى الله بذبحِ الأضاحي، إذ نجد أن معظم الطبقات الاجتماعيّة تحتفل بهذا العيد بذبح الأضاحي؛ لكن كان هذا الأمر يُمثّلُ عند بعض الطبقات وتحديداً الدُّنيا عبئًا ماليًّا لرّبِ الأسرة" الذي كان يجب عليه أن يشتري لزوجته وأولاده ملابسَ جديدة، وأن يزيد من كميّات الطعام والشراب بالإضافةِ إلى أعباءِ الحياة الأُخرى"[23]، وإلى جانب ذبح الأضاحي كان الأندلسيون" يعدّون طبقًا مكونًا من اللبن والقمح ذكرى للطبق الأول الذي قُدِّمَ للسيدة آمنة بنت وهب والدة الرسول(ﷺ) بعدَ أنْ وضعتهُ"[24]، وهذه خصيصَةٌ برزت في المجتمع الأندلسيّ والمغربيّ في زمن ابن الخطيب في القرن الثامن الهجريّ تبركًا ومحبَةً واحتفاءً بولادةِ النبيّ(ﷺ) أيضًا والتي لم نجدها فيما بعد.

ثانيًا: الاحتفال بالحذقة وتوجيه الدعوة للاحتفال بذلك :

يُعدُّ الاحتفال بالحذقة من المناسبات الدينيّة في الأندلس؛ كونها تتصل بتعلّم القرآن الكريم أو حفظه، وهو من ابتكار الأندلسيين؛ إذ عُرِفَ وذاع في مجتمعهم، فكان يُعقدُ هذا" الاحتفال بالوصول إلى جزءٍ من القرآن معيّن، وحفظ هذا الجزء كالرحمان أو سورة الفتح، أو مريم أو كهيعص، أو ختمه"[25]، وهي مأخوذةٌ من" حذق الغلام القرآن وغيره حذقًا وحذاقًا، والاسم الحِذاقَةُ، مأخوذٌ من الحَذَقْ الذي هو القطع"[26]، وقيل:" هو الطعام الذي يُعمَلُ عندَ حذقِ الصبيّ – أي ختمُهُ للقرآن"[27] وكان هذا الاحتفال يُعقَدُ في المساجد في معظمهِ، شكراً للهِ تعالى على حفظ القرآن الكريم أو جزءًا منهُ، ويظهرُ ذلك لنا من وصف ابن الخطيب لما كان يفعله الأندلسيين، إذ كانوا يكتبون في لوحة الحاذق شعراً" وقلتُ ممّا يُكتَبُ في لوح حذق الأمير وَلدِ السلطان على العادة في مثل ذلك"[28] .

فيقول:[29]

فكان أوّلُ ما قدّمتُ في صغري من بعدما قد جمعتُ الفضلَ والأدبا
أني جعلتُ كتابَ اللهِ مُعتَمَداً لا تعـرفُ النّفسَ في تحصيلهِ تَعَبَا
كـأنني كُـلّمَا ردّدتُهُ بفـمي أسْتَنْشِقُ المسْكَ أو استَطْعِمَ الضّربَا
حتى ظَفُرتُ بحظٍ منهُ أحْكِمُهُ حـِفظًـا فيَسّرَ مـنهُ اللهُ لي أرَبًا
وعـن قريبٍ بحولِ اللهِ أختمُهُ فرُبّما أَدْرَكَ الغَاياتِ مَنْ طَــلبَا

يصور لنا الشاعر أهميّة وميزة التعلّم وخاصّةً تعلّم القرآن الكريم أو حفظه، إلى جانب التأدب والتخلّق بأخلاق وأدبِ القرآن الكريم، وأنه جعل من كتاب الله تعالى المُعتَمَد، وليس في فضل تعلّمهِ تعب، كما يجد في تعلّمه وتلاوته كأنه يحيا ويستمر بالحياة يستنشق المسك، ويستطعم حلاوة الغذاء الروحي؛ فكأنه يصفه بالحياة أو الروح التي ليس بمقدورها التخلي عن هذا الهواء والغذاء، فبهما تقوى النفس الإنسانيّة على العيش والحياة، وكانوا يوجهون الدعوة للآخرين من أبناءِ الأصحاب والأصدقاء والأهل لحضورِ هذا الاحتفال والمشاركة بهذه المناسبة، كما يظهرُ ذلك في شعرهِ أيضًا" وكتبتُ إلى الشريف القاضي- رحمة الله عليه – وقد استدعى الأولاد إلى حذقةِ أحد أولاده"[30] فيقول:[31]

غشيانُ مثواكَ مثوى الجودِ يومَ نَدىً ممّا يُنافِسُ فـيه الوالـدُ الـوَلَـدَا
وحُبُكَ الـــيومَ ذُخرُ مِـنْ تـأثّلَـهُ جنى بهِ الفوزَ في دارِ النعيمِ غَـدا
وقد مَددتُ لإذنٍ مِنْ عُلاكَ يـــدي فاسْمَحْ بها دُمْتَ أعلَى العالمينَ يَدا

يؤكد لنا الشاعر في هذا المظهر مدى التواصل بين أفراد المجتمع الأندلسيّ، وأنه يجعل من هكذا مناسبات محفل يجتمع فيه الناس من معظم البلدان على اختلاف طبقاتهم؛ لتقوية الأواصر الاجتماعيّة والحث على تعلّم كتاب الله والعمل به، كما نجد التنافس على ذلك بين الولد ووالده والاقتداء بالأجداد الذين ورثّوا العلم والتعلّم بالقرآن، حتى ليفضي في الآخرة إلى الفوز بالجنة ودار النعيم المقيم، نجد ممّا سبق أهميّة الاحتفال بهذه المناسبة الدينيّة، والدعوة إليها، وطلب الإذن لحضورها والمشاركة فيها؛ لإبرازِ الحافظين لكتاب الله تعالى، أو أجزاءً منه والمنافسة في ذلك، وإظهار المتميّزينَ والحُفّاظَ منهم، حتى عُدّتْ مظهراً اجتماعيًّا دينيًّا في ذلك العصر.

ثالثاً: وصف بعض الألعاب الترفيهيّة :

من المظاهر الاجتماعيّة التي اهتّمَ بها الأندلسيون الجانب الترفيهي، إلى جانب الاهتمام باحتفالاتهم الدينيّة، والذي كان على صورٍ كثيرَةٍ حتى أنهُ خُصّصَ مساحاتٍ واسعةٍ لِعدّةِ ساحات للألعاب و" مصارعة الوحوش، مثل ساحة باب الرملة، وساحة باب الطوابين

والقلعة الحمراء"[32]، ويروي لنا ابن الخطيب أنه كانت تُقام في هذه الأماكن دائرة خشبيّة في الهواء تُسمى الطبلة، ويأخذ الفرسان في قذفها برماحهم أثناء ركضهم بخيولهم[33]، وقد كان لهذه اللعبة ميدانٌ خاصٌ" أسماه ابن الخطيب(ملاعب الليث المفترس) فكان الأسد يتصارع مع ثور قوي يقدمه قطيع من الجواميس، ويُديرُ المعركة أبطال محترفون يختفي أحدهم داخل كرة خشبيّة مُستديرة يُحركها ويمشي فيها فيهجم عليها الأسد ويُعالجها بالنّطح فلا يستطيع كسرها، ثم يحمي وطيس المعركة بينه وبين الثور، فيظهر الثور ثم يناله المصارعون قصعًا بالرماح فينجدل بين يديّ السلطان مضرجًا بالدماء"[34]، ثم يُجازي الملك هؤلاء الأبطال بالنقود والثياب الجديدة، إذ نجد أن الأندلسيين عند اختلاطهم بغيرهم من فئات المجتمع كالإسبان مثلاً أخذوا عنهم بعض المظاهر الثقافيّة والعادات والتقاليد فنقلوها إلى مجتمعاتهم بما يتوافق مع عاداتهم وتقاليدهم، وقد ترك لنا ابن الخطيب وصفًا ظريفًا لهذهِ اللعبة شعراً مُخاطبًا أبا عنان فيقول:[35]

أنعام أرضكَ تقهرُ الأسادا طبعٌ كسا الأرواحَ والأجسَادا
وخصائصُ للهِ بثَّ ضروبَها في الخلقِ سادَ لأجلِها من سَادا
إنّ الفضائلَ في حماكَ بضائعٌ لم تخشَ مِنْ بعدَ النفاقِ كَسادا
كان الهزبرُ مُحاربًا فجزيته بجزاءِ مَنْ في الأرضِ رامَ فَسادا
فابغِ المَزيدَ من الالاه بشكرهِ وارغم بما خوّلته الحُسادا

فالشاعر يورّي في شعره ما يريدُه من مقصديّة؛ ليجعل أرض الأندلس تقهر اللذين يخيّلُ لهم أنهم آسادا بوصفه لهذه اللعبة، وأنه طبعٌ عرِفَ به الأندلسيون بأنهم أسياد للخلق، وكل من يحاول بالنّفاق التعاون مع الأعداء الحُسّاد على بلادهم جزاءه القتل كما وريَّ عن الأسد، وأنه سيجازي من يحارب المفسدين بالمكرمة والتفضيل، فكانت هذه اللعبة(المصارعة) أحيانًا تجري بين الثور والأسد مرة، وبين الكلاب الضخمة والثيران التي تسمى" كلاب الثيران "[36] مرةً أخرى؛ إذ كانت تقفز على الثور وتأخذ في نهش جسمه وأذنيه وتتعلّقُ بهما في صورة القرط[37] حتى تقضي عليه، كما ينقل لنا ابن الخطيب وصف البرج الذي أُعدّ للنظّارة يتتبعون مِنْ فوقهِ هذه المصارعة العنيفة فيقول:[38]

أبو عنان خير مستخلف أصلح مِنْ أمرِ الورى ما فَسد
لا ينكر الفضل لملاكه إلا أمرؤ غطّى عليه الحسد
وحقّ مَنْ جمعَ في الخلق بين النفس والروح والجسد
لأنتَ، يا مولاي، شمسُ العلا حقًّا، وهذا البرجُ برجُ الأسد

فيصف علّو هذا البرج وحصانته وقوته بحيث لا يمكن اختراقه فهو كالحصن الحصين مثل أبو عنان الذي دافع عن حقوق العباد ورَدَّ كُلّ ما فسد، وأضفى عليه هذه الخصال على سبيل الاستعارة التصريحيّة، فجعل مولاه شمس العلا؛ ليظهرَ نوره(قوّته) على الأعداء، وأنّ برجه عتيد كبرج الأسد وعرينه الذي يدافع عنه دومًا .

ومن الألعاب الترفيهيّة الأخرى(الصيد- وسباق الخيل- ولعبة العصا- والخروج إلى الحدائق والمتنزهات أيّام الأعياد- والغناء والرقص والموسيقى- ولعب الشطرنج)[39] التي لم يذكرها لنا ابن الخطيب في شعره .

رابعًا: وصف بعض العادات الخاصة بالمجتمع :

يذكر لنا ابن الخطيب بعض العادات التي اختصّ بها المجتمع الأندلسيّ مصوراً المظاهر الحضاريّة لهذا المجتمع بشكلٍ عام أحيانًا، وبشكلٍ خاص حينًا آخر، معبراً عن واقع المجتمع فوصف بعض الأكلات، وبعض العادات الموروثة كحمل(السيف، والسكين)، وتطَرّقَ أيضًا إلى ذكر طبقات المجتمع والوافدين إلى الأندلس بوصفٍ دقيق، فنراه يصف لنا أكلة" الحريرة "[40] ، التي ذاع صيتها في الأندلس والمغرب وازداد إقبال الناس عليها؛ بوصفها الأكلة الخاصّة المفضّلة لديهم، فيقول:[41]

ورُبَّ صلاةٍ قُدِّمَ النّفلُ فيها وتُشرَبَ مِنْ قَبلِ الثّريدِ حريرَةٍ

نجد الشاعر ابن الخطيب يُعطي أهميّة بالغة لهذه الأكلة، حتى أنهُ يجعلها في لذّتها كتلذُّذِ العابدِ في النّفلِ قبل الفرضِ في الصلاة، فَتُشرَبُ قبلَ الثريد كما يصف لنا.

وفي أبياتٍ أخرى نجدهُ يصف أكلةً أخرى يُطلَقُ عليها" الحرسة"[42] فيقول:[43]

نزلنا على يعقوب نجلِ أبي حَدّو فعرَّفَنا الفضلَ الذي مالهُ حَدُّ
وقَابَلَنَا بالبشرِ واحتفل القِرَى فلم يبقَ لحمٌ لم نَنَلْهُ ولا زُبدُ
يحقُ علينا أن نقومَ بحقّهِ ويلقاهُ منّا البِرُ والشُكرُ والحمدُ

ومن وصفه لهذه الأكلة نجده يصف لنا كرم أهل الظّرفِ والخيريّةِ اللذين يقومون بواجب المسافرين، ومن هؤلاء" منزلٌ لأبي خدّو وفيه رجلٌ من بني المنسوب إليه اسمه يعقوب، طرفٌ في الجود... فألطفَ وأجزلَ، وآنس في الليل، وطلبني بتذكرةٍ تثبتُ عندي معرفته فكتبتُ لهُ الأبيات"[44]؛ وصفًا لكرمهِ وحُسنِ ضيافته، وعطاءِه المُجزِل وإكرامِه للضيف، مصوراً لنا مدى الفرح والبُشر من قِبَل الذي يستقبل الضيوف، فاحتفل القِرى وجيء بأنواع من اللّحمِ والزُبدِ لقاء القيام بواجب الضيافة والكرم، فاستحقّ الثناء والشكر.

كما يصف لنا بعض العادات والتقاليد الموروثة كالاهتمام بالأدوات الجارحة مثل(السكين) والتي تسمى" سكين الكّم "[45]،
فيقول:[46]

رُفلْتُ بإبراهيمَ في حُلَلِ السّعدِ وأُفرِدْتُ بالـفخرِ الـمُؤثَلِ والـمَجْدِ
تبنّى حُسامَ النّصرِ منّي مُرضِعًا وعُوِّضْتُ حِجْرَ المُستعينِ مِنَ المَهْدِ

نجده يفخر بحامل السيف" أبا سالم المريني"[47]، بإفرادِ ذكره واصفًا سيفَهُ بالزينة وحُلَلِ السّعدِ الذي يُزيّنه مع ما يحمله من صفات كالمجد والشجاعة والمروءة والبسالة والنصر على الأعداء دومًا.

ويقول في سكين أُتُخِذَ للسلطان فيقول:[48]

إنْ شَهَرَتْ نَصْلِي يدَا يوسفٍ ريعَتْ لفَتْكي مُهجَةُ اللّيثِ
ولُحْتُ مِثْلَ البرْقِ في كَفّهِ لا يُنْكَرُ البَرقُ على الغيثِ

معبراً عن قوّةِ سيف السلطان وسطوته على الأعداء، وسرعته في القضاءِ عليهم كسرعَةِ البرقِ بمجيئهِ قبلَ نزول الغيث على سبيل الاستعارة التصريحيّة، وكما هو معلوم أن سرعة البرق- الضوء الذي يسبق صوت الرعد قبل حدوثه – فاستشهدَ به؛ ليجعل من سرعة انقضاض سيفه في يده كالبرق في سرعته على صوت الرعد .

ثم ينتقل حينًا آخر ليُطلعنا على طبقات المجتمع بصنوفها بأوصافٍ دقيقةٍ ك(البربر والغّز- وأهل الجبال والصحراء - وذوي أنْيُقٍ- وأهلُ حَمِيرٍ- وسعاة ذوي اجتداء- وأفاريد(الطلبة) – والحبشيين – ورعاة شبههم بالتيوس، وذو كدية – وأقوام الأسارى – والحمقاء) فيقول:[49]

سيدي أنت عمدتي فاحتملني وتَغَمَّد بالفضل منك جفائي
مُبتلى أنت بالبرابر والغُزَّ وأهل الـجبال والـصحراء
وذوي أيْنُقٍ وأهلُ حَمِـيرٍ ورجـالٍ وصبـيةٍ ونـساء

******

وشيوخٍ بيضِ اللّحى خضّبوا الأرْ جُـلَ مثلَ الحَمامِ بالحنّـاءِ
وسُعـاةٍ ذوي اجـتداءٍ وإلـحـا فٍ شديدٍ يأتونَ بعدَ العشـاءِ
وأفاريدَ يسردون دويًّـا كَـتدَوِيّ الرّحى قـليلَ الـغَنَـاءِ

******

وحبيشٍ، كلامُهم يُشبهُ الخُطّ ـافِ عندَ انفجارِ خيطِ الضّياءِ
وتُيوسٍ مِنْ أرضِ أندلسٍ قد قـصدوا عـن ضرورةٍ وجـلاءِ

******

وذو كـديةٍ وقــومٌ أسارى عبروا البحرَ رغبةً فــي الــفداءِ
أوقحُ القومِ ضجّتْ الأرضُ منهم نــبذوا كُــلَّ حِــشمةٍ وحياءِ

******

ومُقامي نَزْرٌ وأصرِفُ وجــهــي لِسَلا حيثُ مــعــدَنِ الحُمَقــاءِ

يصنف لنا الشاعر مكونات وطبقات المجتمع الأندلسيّ من جميع البلاد والوافدين إليها تصنيفًا دقيقًا، كـ(البرابر والغُزّ، وأهل الجبال والصحراء، وذوي أنْيُقٍ- وأهلُ حَمِيرٍ- وسعاة ذوي اجتداء- وأفاريد(الطلبة) – والحبشيين – ورعاة شبههم بالتيوس، وذو كدية – وأقوام الأسارى – والحمقاء) في هذا العصر، ويُبيّنَ لنا أن المجتمع الأندلسيّ في آخر عصوره اختلط فيه الأندلسيين مع غيرهم من الطبقات الوافدة إليهم وكثرتهم؛ بسبب الأحداث التي رافقت البلاد من مجاعة وأوبئةٍ وضيقٍ في العيش لمعظم الناس، فحاول الشاعر أن يجمع هذه الطبقات في نص قصيدته بأسلوبٍ جميلٍ جمع فيه بين الجِدَّةِ والطُرفَةِ، ولغةٍ جميلة عبر بها عن الّلون كـ(البربر والغُزّ ميّزهم سواد بشرتهم، والشّيوخ بيض الّلحى خضّبوا أرجلهم بالحنّاء بلونها البرتقالي المائل للحمرة، وسواد الّليل بعد العشاء، وانفجار خيط الضياء- انفساح ظلمة الّليل ومجيء ضوء النهار، وسواد الأحباش كذلك)، وظّفَ فيها التّضاد في الألوان ودلالاتها؛ فالسواد ضد البياض، إذ السواد يمثل المظهر السلبيّ الذي عمَّ الأندلس بوجود هذه الطبقات التي بدأت تؤثر سلبًا على المجتمع، والبياض يمثل الجانب الإيجابي الذي يُسهم في مواجهة ذلك المظهر السلبيّ ومحاولة علاجه، أما الفئات فتمثلّت بـ(الشيوخ والرجال والنساء والصبيّة)، إذ يؤكد بوصفه هذا أن المجتمع كان فيه من الفئات العمريّة جميعها حالها كحال باقي المجتمعات، والطبقات تمثّلت بـ(الأمراء والطلبة وعامة الناس وذو الكدية والرعاة والأحباش وأقوام الأسارى... وغيرهم)، إذ يوصفهم كُلاً بما يليق به، فالأمراء وصفهم بالسّادة، والطلبة بالأفاريد تدوي كدويّ الرحى قاصداً بوصفهم المبالغة في التعلّم، ووصف الحبيش كأنهم في سرعة كلامهم التي تشبه سرعة انكشاف خيط الضياء وقت انجلاء الظلام، ووصف بعض الوافدين بالجلاء إلى المغرب من الأندلسيين بالتيوس، ووصف كذلك ذو الكدية وأقوام الأسارى الذين عبروا البحر رغبةً في الفداء بأنفسهم والخلاص من الأعاجم، ووصف البعض منهم أيضًا بالحمقاء؛ لقلّةِ فهمهم وجهلهم، وأخيراً لَخّصَ في وصفهم بأنهم أوقح القوم؛ لأنهم نبذوا كُل حشمةٍ وحياء، حتى أن الأرضَ قد ضجّتْ منهم، وهذا ما ميّز المجتمع الأندلسيّ، كما

أنّ هذه الطبقات معظمها استقرّت في بلاد الأندلس وتعايشتْ مع الطبقات الأخرى وعليّة القوم، وأهلُ الأندلس الأصْليّون من غير الوافدين إليها .

ومن المظاهر الاجتماعيّة الأخرى التي دأب المغاربةُ والأندلسيونَ في المحافظة عليها كتقليد حضاريّ الهدف منه التواصل مع أطياف المجتمع ككُل بتنوعاته الدينيّة والعرقيّة، فكان يتشارك مع بقيّة الطوائف أعيادهم، كمشاركة الأندلسيون بالعيدِ الموسميّ الذي عُرِفَ بإسمهِ الفارسيّ بعيد النيروز" وهو أول السّنة الفارسيّة الذي يتفق واعتدال الربيع، والمقصود السّنة الجديدة بعد جني المحصول ودفع الضرائب"[50]، من هنا نجد أنّ ابن الخطيب كان حاضراً في نقل أجواء الاحتفال بهذا العيد والبشرى باستقباله فيقول:[51]

هذا " النيروزُ " أتاكَ بِمَا تهواهُ، وبالبُشرى سَبَقَا

وقال:[52]

وهْنَأ " بنيروزٍ" مسَرّاتُهُ قَدْ أصبحتْ أبوابُها شُرّعَا

نجد الشاعر يعبر عن الفرح والبهجة في استقبال هذا العيد بالمسرات وتبادل التهنئة، فكان الأندلسيونَ" يقومون في عيد النيروز بعمل دُمى على شكلِ حيوانات على الّغمِ من تحريمِ الفقهاءِ لذلك"[53]، كما يصف لنا الحال الذي يكون عليه هذا العيد من خروج الرجال مع نسائهم وأولادهم إلى الشوارع فرحًا بِمَقْدَمِ الربيع .

ومن التقاليد التي حافظ عليها أهل الأندلس أيضًا الاهتمام بمناسبات أخرى كاحتفالات بالانتصارات العسكريّة، ومولد الأمراء، وأعذار أبناء السلطان وزواجهم[54] فيقول:[55]

هو النّصرُ بادٍ للعيونِ صباحهُ فما عُذرُ صدرٍ ليس يبدو انشراحهُ
حديثٌ تهاداهُ الركائبُ في السُّرى وتُجْلَى عــلى راحٍ المَسَرَّةِ رَاحُهُ
وآيةُ بُشرى هَزَّ مِعْطَفَهُ الهدُى لها، وتَبَدّى للزمانِ ارتياحهُ
وأصبحَ دينُ اللهِ قدْ عَزَّ جارُهُ بِموقِعِهِ، والكفرُ هِيْضَ جَناحُهُ

يصف لنا الشاعر السرور والبشرى التي عاشتها البلاد لقاء النصر العسكري على الروم في أحد الوقائع ورفع راية الإسلام وعزّته، مقابل انهزام الكفر وأهله، فعَمَّتْ البشرى بهذا النصر، وكان معظم الناس في هذه الاحتفالات" يُنظّفون أجسامَهُم ويرتدونَ أحسنَ ملابِسَهُم ويأخذون زينتَهُم، ويستمر الاحتفال حتى ساعة متأخرة من الليل حيث تتجمع الجماهير في الشوارع رجالاً ونساءً ينثرون الماء المُعّطر ويتقاذفون البرتقال والليمون الحلو وباقات الزهر، وكانت هذه الأعمال تزعج الأتقياء"[56].

خامسًا : مظاهر النعمة والترف والتعبير عنها :

أما ما يتعلّق بمظاهر النعمة والترف، فقد بين لنا الشاعر ابن الخطيب هذه المظاهر وخاصّة ما يخصُّ المجتمع الأندلسيّ - تحديداً الطبقة الحاكمة -، فوصف أبنيَة القصور، والسُّرُر، والحمّالة، وطيقان الماء، وأبنيَة المدارس، بأوصافٍ دقيقَةٍ عبّرَ فيها عن واقع الطبقة الحاكمة وحالة النعمة والترف التي كانت قد تميّزت بها، كالتّغني بتلك القصور وببنائها العالي، وإبداع تصميمها وقوّته، وجمال الطبيعة فيها من الحدائق وطيقان الماء، والسُّرُر الموضوعة فيه، فيقول في التعبير عن واقع أحد القصور وجمال بنائها:[57]

ولمّا استَتَمّ بناءَ العُلى وأحرزَ شأوَ الجلالِ البعيد
وأيقنَ أنْ لَمْ يَدَعْ غايةً لِراجٍ، ولا موضِعًا للمَزيد
وإنّ الدّيارَ جسومُ الجسومِ تولّى إقامَةَ قصرٍ مَشيد
تَخيّرَ أعظمَـــهُ مَرْمَراً فَجاءوا بِكِلّ قَوِيٍّ شَديد

وهذه الأبيات من أوائل ما قاله ابن الخطيب في وصف مظاهر النعمة والترف بهذه الأوصاف؛ لِيُبيّنَ للقارئ مدى فخامة البناء وجودة الأداء مُستخدمينَ الأعجال الكبيرة في نقلِ المَرمَر والرّخام ومواد البناء الأخرى وتوفير كافة مستلزمات البناء لإتمامِ هذا الصّرح ذي الشأن العظيم والقصر المَشيد كما يصفه برفعة الشأن والبناء، والاهتمام بهذا الصرح الحضاري المهم، فنجد جمال التصوير، ودقة العبارة في اختيار الألفاظ بما يتناسب مع الصعوبة في بناء هذا الصرح واستخدام المواد الثقيلة من حجر ومرمر وعجلات لنقل هذه المواد .

ويقول أيضًا:[58]

دحيتَ من الزُّلّيْجِ(*) صفحةَ أرضهِ بلونينِ مُبْيَضِ الأدِيمِ وَمُسْوَدّ

******

وأرسلتَ فيها جدولَ الماءِ سائلاً كما سُلَّ مصقولُ الغِرارينِ مِنْ غَمْدِ
مِنَ الصُّفرِ إلاّ أنهـــا عربيّةٌ إذا اجتُلِيَتْ فيها سماتُ بني سعدِ(*)

******

رأينا بها كُرسيَّ كسرى وتَاجَهُ نُلاحِظُهُ عَيْنًا على قِدَمِ العَهْدِ

******

ومِنْ سُررٍ مــرفوعَةٍ وأرائِكٍ كما رَقَمَتْ أيْدي الغَمَامِ صبا نجدِ

نرى ممّا سبق من أبيات جمال اللوحة التي رسمها الشاعر ابن الخطيب في شعره واصفًا جمالَ ذلك القصر بالألوان الزاهية المُستخدمة، والشكل البهيّ اللامع المصقول لجداول الماء فيه، والأثاث الذي جُهِّزَ به القصر كالكرسيّ التي يجلس عليها الحاكم والتاج، كَكُرسيّ كسرى وتَاجَهُ، والسُّرُر المرفوعة فيه كذلك والأرائك المصفوفة وكأنها لوحة مرسومة بأيدِ فنان؛ مُريداً بذلك نقلَ مظهر النّعيم والترف الذي تمتّعَ بهِ الحُكّامُ الأندلسيين، والتعبير عن واقعهم المُعاش بوصفِ معظم تلك المظاهر الاجتماعيّة التي تخللتْ هذا العصر.

المبحث الثاني: المظاهر الاجتماعيّة السلبيّة في الأندلس والمغرب:

لا تخلو المجتمعات من المظاهر السلبيّة رغم التقدُم في المظاهر الحضاريّة الإيجابيّة، والمجتمع الأندلسيّ كباقي المجتمعات أثّرتْ فيه بعض الأمور التي قد تكون منقولة عن المشارقة فَقُلّدَتْ تقليداً حرفيًّا كالغزل بالغلمان مثلاً الذي وجِدَ عند بعض شعراء العصر العباسي من المشارقة؛ لكن الإضافة الجديدة عند شعراء الأندلس كانت التغزل بالغلمان السود أو الحُول العيون، وهذا المظهر الاجتماعي لم تعرفه الأندلس ولم يكن موجوداً في عصورها الأولى لدى الشعراء، وإنما وافق شيوع هذا المظهر السلبي وغيره من المظاهر السلبيّة الأخرى الأحداث التي وقعت آخرَ عصور الأندلس من الضياع وغياب الوازع الأخلاقي عند البعض من الشعراء؛ لذا بدأت بعض المظاهر السلبيّة والعادات السيئة تنتشر عند بعض البلاد الأندلسيّة فعمِدَ الشعراء في وصفهم لهذه المظاهر والتعبير عنها كـ(تعاطي النباتات المخدرة(القُنّبْ)، وتوظيف الألفاظ العاميّة في الشعر الفصيح، والغزل بالغلمان وخاصّةً السود، ووصف مظاهر الفقر كالتسوّل والكدية للطبقة الفقيرة المُعدَمة عند عامة الشعب، والتعبير عن واقعها)، فأول هذه المظاهر السلبيّة وأخطرها على المجتمع الأندلسيّ وباقي المجتمعات هي :

أولاً: تعاطي النباتات المخدرة(القُنّبْ):

كما أن في كُل مجتمع وبيئة مظاهر إيجابيّة غالبًا ما ترافقها مظاهر أخرى سلبيّة؛ لكن بنسبةٍ أقلُ انتشاراً بالنسبةِ لانتشار المظاهر الإيجابيّة، وكما يُلاحَظُ على المجتمع الأندلسيّ شيوع ظاهرة تعاطي النباتات المخدّرة كـ" الحشيش"[59]، و" القُنَّبْ"[60]، وكما جاء على لسان بعض الشعراء ومنهم ابن الخطيب الذي نقل لنا هذا المظهر السلبيّ داخل هذا المجتمع، والذي كان غالبًا ما يحدث عند الاحتفالات بالأعياد والمناسبات وشرب الخمور، وتفشى هذا الأمر في هذا العصر كما انتشر في المشرق، حتى فُضِّلَتْ على الخمور، يقول أحد الشعراء:[61]

وخضراءُ، بل لا تفعلُ الخمرُ فعلها لها وثباتٌ في الحشا وثباتُ
تؤجِجُ ناراً في الحشا وهي جَنَّةٌ وتُبدي لذيذَ العيشِ وهي نباتُ

ولا شَكّ" أن الحشيشَ قد بدأ انتشاره في المشرق، ثم انتقل بعد ذلك إلى المغرب في القرن الثامن الهجري، ويبدو أن المغرب الإسلامي كان في مأمَنٍ من تلك الآفة حتى القرن السابع الهجري"[62]، إذ يروي لنا ابن الخطيب رواية طريفة تُبينُ مدى انتشار الحشيش في غرناطة بين أبناء الطبقة الأرستقراطيّة في عصرهِ فيذكر أنّه في عصر السلطان أبي سعيدٍ البرميخو" حدّثَ صاحب شرطته، وهو لا بأس به، قال: أطريتهُ باجتناب الناس الخمر في أيّامه، وتحت استداده، وطهارة بلده من قاذوراتها، فقال لي في الملأ المشهود، والحشيشُ كيفَ حالُها؟ قلتُ: ما عثرتُ على شيء منه، فقال: هيهات، أنزل إلى بيت فلان وفلان، وعدَّ كثيراً مِنَ السّاسَةِ والأوغادِ والصفاعين(*) رسَمَ مكامنهم وينسبهم نسبة الأصمعيّ أفخاذ العرب وبطونها، ويصفُ الناصِحَ والغَاشّ منهم بصفتهِ، وربما دعا بعض مشيختهم بالعمومة، قال: وانصرفتُ إلى ما ذكر فَو اللهِ ما أخطأت شيئًا ممّا رسمَهُ، ولا فقدتُ شيئًا ممّا ذكرهُ؛ لِغشيانهِ بيوتهم وانخراطهِ في جملةِ مُنتابيهم، يقول: فهو والله استاذي في الشرطة ! "[63].

نجد ممّا سبق أنّ تعاطي الحشيش انتشرَ بصورةٍ فظيعةٍ في هذا القرن الذي عاش فيهِ ابن الخطيب حتى أنه قال فيها:[64]

أتى ابنُ سُليمانٍ وفي الفِكْرِ فَتْرَةٌ يُخْبِرُ أنّ العقلَ جِدُّ مُغَيَّبِ
فقُلْتُ أظُنُّ السّيْدَ اعْتَمَّ عِمَّةً ولكنّها في الأصلِ من كُنيةِ الأبِ

فَيُعَرّضُ هنا ابن الخطيب في شِعرِهِ عَمَّنْ تناولَ نبات القُنَّبْ المخدر وعن خطر هذا النبات؛ كونه مظهراً غير أخلاقيّ وفيه ابتعادٌ عن المنهج القويم، فالشاعر نجده يصف أثره السلبيّ على من يتناوله بأن عقله يزول ويُصبح مُغَيّبْ لا يُجيدُ التفكيرَ ولا التمييز؛ لما لهذا النبات من أثرٍ على العقل من جانب، وعلى الإنسان المُدمِنِ عليهِ من جانبٍ آخر، ولما لهُ مِنْ أثرٍ سلبيّ أخلاقي ديني يُبعِدُ المؤمنَ عن دينهِ وأخلاقهِ ومجتمعهِ، فهذا الداء مرضٌ عُضال يهدم المجتمع والإنسان على جميع الأصعِدَة دينيًّا، واجتماعيًّا، واقتصاديًّا وسياسيًّا .

ثانيًّا: توظيف الألفاظ العاميّة في الشعر الفصيح :

من المظاهر الاجتماعية السلبيّة التي شاعت أيضًا في المجتمع الأندلسيّ توظيف الألفاظ والكلام العاميّ عند الأدباء في شعرهم ونثرهم؛ إحساسًا منهم بذاتيّتهم وعدم تقليدِهم للمشارقة، وأنهم بإمكانهم أن يأتوا بما جاء به المشارقة، فَمثّلَ هذا الشعور بالذاتيّة وعدم التقليد للمشارقة تطوراً أدبيًّا لكن بتوظيفٍ سلبيّ؛ كونهم وظّفوا الألفاظ العاميّة

ضمن أشعارهم ونثرهم، وهو ما عُدَّ سلبيّةً في شعرهم ونثرهم على ذاتيّتهِ وتميُّزِهِ، فنرى ابن الخطيب يقول في ذلك:[65]

قلتُ وقد ألبسَ جسمي الضَّنا صِبْغَةَ سُقْمٍ أبداً لا تَحُولْ

يا مَنْ رآني أُشْفِقْ لِمَا حَلّ بي " يُلْبَسُ مَخيوطٌ على ذَا النُّحُولْ"(*)

مُستخدمًا التورية بعرف العامة، وتضمين المثل العاميّ بألفاظه العاميّة في البيت الشعريّ، وهذهِ سلبيّة ومظهر اجتماعي شاع استخدامه في ذلك العصر، مع أنه غير مستساغ ضمن النصوص الأدبيّة واللغويّة في تضمين العاميّة في الشعر الفصيح، نجد الشاعر يستعير لجسمه الضّنا كملبس لا يحول عنه أبداً، كما نجد الاشفاق منه عليه على سبيل الالتفات، من لبس الثوب الجديد وهو في حالة الضعف الشديد، كذلك قوله في طول الليل:[66]

سَاوَرْتُ أسْوَدَ مِنْ ظلامِ دُجَىً مَنْ نَابَهُ فإلى الهُمُومِ دُفِعْ

أنَا لا أقولُ سَطا الصّباحُ بهِ لكِنْ " طغى ثعبانُهُ فَرُفِعْ "

نجد أن ابن الخطيب يُضمّن الأمثال ذات الألفاظ العاميّة التي دارت على ألسنَةِ العوام من أهل الأندلس، ومنها المثل العاميّ" إذا طغى الثعبان يُرفَع"[67]، الذي يُضرَبُ في الظُّلَمِ إذا اشتَدَّ زال، كما وصفه الشاعر عند وصف شدّة ظلام الليل وطولَه، مُصَوّراً الصراع بين طول الليل بظلامهِ ونور الصباح والنهار وسطوعه، كذلك يُشبه طول الليل بالأرقَمْ[68] ، ونراه يُضمّن مثلاً عاميًّا آخر في قوله:[69]

لا تُهِجْ بالذِّكرِ مِنْ جَلَدي نارَ شَوقٍ شَقَّ مُحْتَمَلُهْ

ويَقولُ النّاسُ فـي مَثَلٍ: " لا تُحَرِّكْ مَنْ دَنَا أجَلُهْ "

وهذا المثل أيضًا ممّا سارَ على ألسنة العوام مِنْ أهلِ الأندلس، وأصلهُ" لا تلطُم مَنْ دَنَا أجلْ"[70]، ويُضْرَبُ هذا المثل في النّصيحةِ على عدَمِ الكذبِ إلا على الموتى، وهكذا نرى أنّ الشاعر ابن الخطيب قد نقل لنا مظهراً اجتماعيًّا سلبيًّا كان سائداً في عصرهِ ومجتمعهِ؛ مُريداً بذلك تسليط الضوء على بعض الأمور التي كانت منتشرة في مجتمعه ومنها توظيف الألفاظ العاميّة والأمثال التي تجري على ألسنة العوام من الناس في الشعر.

ثالثًا : التغزُّل بالغلمان وخاصّةً السّود :

من المظاهر السلبيّة الأخرى التي شاعت في المجتمع الأندلسيّ ونقلها لنا الشاعر ابن الخطيب الغزل بالغلمان وخاصّةً السّود منهم والحُول، كما كان ذلك شائعًا قبلَ عصرهِ في الأندلس وغيرها، حتى أصبحَ مظهراً اجتماعيًّا مألوفًا لا يجدُ الشاعرُ المُحترم تحَرُّجًا في قول

الشعر فيه[71]، كما ينقل لنا ابن الخطيب كلف الأندلسيين بالغلمان وخاصّةً السّود في شعره فيقول:[72]

بِنَفسي حالِكٌ شِبْهُ السّوَيْدَا لِذلكَ ما يَحِنُ لهُ الفُؤادُ
أُطِيْلُ لَهُ التَفَاتِي والتِمَاحِي لأنّ العَيْنَ يَنْفَعُها السَّوَادُ

نجد الشاعر في هذين البيتين يتغزّلُ بغلامٍ أسود اللون ودائمًا يَحِنُّ إليهِ ويشتاقُ ويُدقِقُ النظرَ فيه ليملئَ عينيهِ منهُ، وهذا المظهر السلبيّ لم يكن له وجود في المجتمع الأندلسيّ أول عصوره؛ لكنه شاع في أواخِرَ عصوره حين دخول الفتن والمجون والانحلال الأخلاقي في مجالات الحياة الدينيّة والاجتماعيّة والأدبيّة والسياسيّة، كما أنه مظهرٌ غير سويّ وغير فطريّ؛ لأن الفطرة تكون على النقيض من ذلك كالتغزل العفيف بالمرأة وليس بالرجُل، كما كان التمتع بالغلمان أحد مظاهر هذا التَحلُّل .

ويقول في غلام حالك اللون:[73]

قالوا كَلِفْتَ بهِ غُلامًا حالكًا فأجبتُمْ لي فيهِ ما يَشفي المُهَجْ
مَهْمَا جُنِنْتُ بهِ هوىً وصَبَابَةً عَلَّقْتُ فَوقي مِنهُ حِرزاً مِنْ سَبَجْ

نجد جرأة الشاعر واضحة في تغزله بغلامٍ حالك اللّون أسود؛ لكنه في نظره شفاء وفرح له، ومعبراً عن جنونه به هوىً وصبَابَةً، حتى أنه جعل له حِرْزاً من خرز أسود يلبسه؛ كي لا يقابله فيتغزّل فيه، وهذه الجرأة لم نجدها عند الشعراء في العصور الأولى للأندلس، بل كان العكس من ذلك، كان الشعر مهذبًا تطغى على معظمه المسحة الدينيّة، كما أنهُ تَغَزّلَ أحيانًا أُخرى بغلامٍ أحول مُخترع فقال:[74]

وأحْوَلَ يُعدِي القَلْبَ سُقْمُ جُفونِهِ فَتُضحي صَحيْحَاتُ القُلوبِ بهِ مرضَى
رأى الحُسْنُ أنَّ اللّحْظَ منهُ مُهَنّدٌ فَـحَرَّفَهُ كَـيْمَـا يكـونُ لـهُ أمضَى

يصف لنا الشاعر ابن الخطيب هذا الغلام بأدق أوصافه، كجمالِ لَحظهِ وعينيهِ بما فيها من جفون كأن فيها سِهَام، والنظرَةُ إليها تُمْرِضُ القلوبْ، وكأنّ هاتين العينين سيوفًا في حِدَّةِ نظرها وحُسنها، وهذا ممّا يُجَسّدُ لنا أن ظاهرة التغزُّل بالغلمان أصبحت ظاهرة اجتماعيّة خطيرة مُتَفشيّة في المجتَمَع الأندلسيّ المُسْلِم الذي يتوّجبُ عليهِ الالتزام بتعاليم الإسلام، ومن ثمّ الالتزام بتقاليد الشعراء المعتدلون في غزلهم .

رابعًا: وصف مظاهر الفقر كالتسوّل والكدية للطبقة الفقيرة المُعدَمة عند عامة الشعب، والتعبير عن واقعها:

من المظاهر الاجتماعيّة السلبيّة في المجتمع الأندلسيّ آخر عصوره انتشار الفَقْر ووصف مظاهره كالتسوّل والكدية للطبقة الفقيرة المُعدَمة عند عامة الشعب والتعبير عن واقعها، وكَثُرَتْ الطبقة الفقيرة نتيجةَ عوامِلَ عدّة؛ كعـدم الاستقرار في المغرب، وانتشار الخوف والغلاء، فضلاً عن الاضطرابات التي حصلت في الأندلس، والتي سببها المجاعة وانتشار وباء الطاعون[75] والأمراض، فَيَنْقُل لنا الشاعر ابن الخطيب هذا المظهر الاجتماعي السلبيّ والواقع الأليم الذي يمُرُّ بهِ بعض أفراد المجتمع، ويصف حاجة الناس في أخذ الدواء مع الأذى الذي يعيشونه فيقول:[76]

وقانِي أذَى النَّاسِ أخذُ الدواءِ وجاءَ بعُذْرٍ لِرفعِ الجناحْ
كذاكَ الحبارى إذا ضُويقَتْ يُدافِعُ عنها سلاحَ السلاحْ

هنا يصف الشاعر ابن الخطيب حالة الضعف التي يمرُّ بها الناس جرّاءَ الحروب وانتشار المجاعة والأوبئة والأمراض تحديداً آخرَ عصور الأندلس وضعفها، مستخدمًا أسلوبًا معبراً عن صورة الواقع الأليم الذي يعصف بمعظم الناس الضعفاء ماديًّا ومعنويًّا، كما يصف دفاع الناس عن أنفسهم بأنفسِهم، فضلاً عن أن الشاعر يُشيرُ إلى المعاناة التي كان عامة الشعب من الفقراء يمرون بها . ويقول ضجِراً لمَا يَجدهُ في باب السلطان صباحًا كُلَّ يومٍ أيَّامُ النيابةِ:[77]

قالَ مَنْ يُعْنى بأمْرِي : لَيتَ رَبِّي قَدْ أرَاحَكْ
وَطَنًـا تَسْمَـعُ فيهِ أنْعَمَ اللهُ صَبَاحَـكْ

وبهذا الوصف الدقيق والصورة المُعبِرة لمظهرٍ سلبيّ وهو ظاهرة التسَوّل التي يجسِّدُها الشاعر، يصف لنا وبدقة هذا المظهر المألوف الذي نجدهُ في مجتمعاتنا اليوم بكثرةٍ، إذ نجد المتسوّلين أمام الدور طلبًا للحاجة كُلَّ صباح أو مساء؛ كان ذلك نتيجةَ الواقع المؤلم الذي عاشته الأندلس أواخر عصورها، كما يُحدِدُ أصناف هذه الطبقة فيقول:[78]

وسُعَاةٍ ذوي اجتداءٍ وإلحا فِ شَدِيدٍ ياتونَ بعدَ العشاءِ

******

وذُوو كـديةٍ وقـومٍ أُسـارى عَبروا البَحْرَ رَغْبَةً في الفِداءِ
أوقَحُ القَومِ ضَجَّتِ الأرضُ مِنْهُمْ نَـبذو كُـلَّ حِـشمَةٍ وحَياءِ

الخاتمة:

نُجملُ ما توصّلَ البحثُ إليهِ من نتائج هي :

1- تميّز الشاعر الأندلسيّ لسان الدين بن الخطيب بِشعرِهِ المُعبِّر عن المجتمع والبيئة التي عايشها، ونقل إلينا صورة ذلك الواقع بما فيه من مظاهِرَ إيجابيّةٍ وسلبيّةٍ .

2- صنّف الشاعر بيئة بلاد الأندلس والمغرب إلى بيئةٍ ايجابيّة تهتم بدينها وموروثها وعاداتها وتقاليدها لا تحيدُ عنها، وبيئةٍ أخرى سلبيّةٍ اهتمت بدنياها وتخلّت في بعض الأحيان عن العُرفِ والأخلاق والدين والموروث والتقاليد والانجراف وراء الهوى واللهو والمجون .

3- حدد الشاعر المظاهر الإيجابيّة التي شاعت وانتشرت في عصرِهِ والتي تمثّلتْ بـ(الاحتفال بالأعياد والمناسبات الدينيّة، كأعياد المولد النبوي الشريف، وعيديّ الفطر المبارك والأضحى المبارك، والاحتفال بليلة القدر، ووصف بعض الألعاب الترفيهيّة، وبعض العادات الخاصة بالمجتمع الأندلسي آخر عهده، كوصف المآكل وفئات المجتمع، والاحتفال بالحذقة والدعوة إليها، وسكين الكّم، ووصف مظاهر الترف والنعمة والعيش الرغيد والتعبير عن واقعها الذي عاشه آخر حكّام الأندلس).

4- أعطى الشاعر للمتلقي صورة الواقع الحقيقي لعصرٍ ومجتمعٍ عايشهُ، وحاول التركيز على إبداء المحاسنِ أكثر من المساوئ لذلك المجتمع، عِبْرَ نقل تلك المظاهر الايجابيّة في التعايش والتجانس فيما بين أبناء المجتمع الأندلسيّ الذي تألفَ من طوائفَ عِدّة .

5- أبدع الشاعر بتسليط الضوء المباشر على المشكلات التي عايشها داخل مجتمعه، وحدد المظاهر السلبيّة والعادات السيئة التي كانت قد حدثت بوصفهِ الدقيق في شعرِهِ والتي تمثّلت بـ(تعاطي النباتات المخدّرة(القُنَّبْ)، وتوظيف الألفاظ العاميّة في الشعر الفصيح، والغزل بالغلمان وخاصّةً السود، ووصف مظاهر الفقر كالتسوّل والكدية للطبقة الفقيرة المُعدَمة عند عامة الشعب، والتعبير عن واقعها المؤلم).

6- وأخيراً نرى أن الشاعر أجاد بذلك الوصف لتلك المظاهر الاجتماعيّة بإيجابها وسلبها، ونقلها عبرَ وسيلة التواصل الاجتماعي آنذاك المُتَمَثل بالأدب وتحديداً الشعر.

الهوامش:

(1) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبدالله اللوشيّ الغرناطيّ الأندلسيّ الشهير بلسان الدين بن الخطيب (ت:776هـ)، تحقيق: محمد عبدالله عنان، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ: 374/4 .

(2) في الأدب الأندلسيّ، د. محمد رضوان الدّاية، دار الفكر المعاصر- سورية، الطبعة الأولى، 2000م: 367 .

(3) ينظر: م . ن: 367 و 369 .

(4) مظاهر الإبداع الحضاري في التاريخ الأندلسي، أ.د. محمد بشير حسن راضي العامري، دار غيداء للنشر والتوزيع- الأردن، الطبعة الأولى، 2012م: 54 .

(5) ينظر: مظاهر الإبداع الحضاري في التاريخ الأندلسي: 54 .

(6) م . ن: 200- 201 .

(7) مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، أ.د. أحمد محمد الطوخي، تقديم: أ.د. أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، (د- ط)، 1997م: 116 .

(8) ينظر: اللمحة البدريّة في الدولة النصريّة، لسان الدين بن الخطيب(ت:776هـ)، صححه ووضع فهارسه ناشره: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفيّة- القاهرة، الطبعة الأولى، 1347هـ: 28 .

(*) المرينيون: نسبةً إلى سلطان المغرب عبد العزيز بن أبي الحسن المريني(ت:774هـ) .

(9) ديوان لسان الدين بن الخطيب، لسان الدين بن الخطيب(ت:776هـ)، صنعه وحققه وقدّم له: د. محمد مفتاح، دار الثقافة للنشر والتوزيع- الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1989م: 77/1 .

(10) م . ن: 375/1 .

(11) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 81/1 .

(*) المنكانة: هي آلة لضبط الوقت ينظر: ديوان لسان الدين بن الخطيب: 208/1 هامش رقم(1) .

(12) أزهار الرياض في أخبار عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني(ت:1041هـ)، ضبطه وحققه وعلّق عليه: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة فضالة- المغرب، (د- ط)، (د- ت): 244/1- 245 .

(13) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 81/1 .

(14) م . ن: 81/1 .

(15) م . ن: 208/1 .

(16) ينظر: أزهار الرياض في أخبار عياض: 244/1- 245 .

(17) اللمحة البدريّة: 28 .

(18) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 423/1 .

(19) م . ن: 392/1 .

(20) { سورة القدر: الآية (٥) }.

(21) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 766/2 .

(22) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 767/2 .

(23) مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر: 116 .

(24) م . ن: 117 .

(25) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 82/1 .

(26) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة المرسيّ(ت:458هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة- بيروت، الطبعة الأولى، 2000م: 571/2 .

(27) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 82/1 .

(28) م . ن: 82/1 و 118- 119 .

(29) م . ن: 82/1 و 118- 119 .

(30) م . ن: 82/1 و332 .

(31) م . ن: 82/1 و 332 .

(32) مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر: 122 .

(33) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة: 38/1 و 405/4 .

(34) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 79/1 .

(35) الإحاطة في أخبار غرناطة: 7/2 ، وديوان لسان الدين بن الخطيب: 79/1-80 .

(36) مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر: 125 .

(37) ينظر: م . ن: 125- 126 .

(38) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 80/1 .

(39) ينظر للاستزادة: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر: 122-134 .

(40) الحريرة: حساء معروف لدى المغاربة . ديوان لسان الدين بن الخطيب: 380/1 هامش رقم(89) .

(41) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 80/1 .

(42) نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، لسان الدين بن الخطيب(ت:776ه)، نشر وتعليق: د. أحمد مختار العبادي، مراجعة: د. عبد العزيز الأهواني، دار النشر المغربيّة- الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1958م : 73/2

(43) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 362/1 .

(44) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب(ت:776ه)، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني(ت: 1041ه)، تحقيق: احسان عباس، دار صادر بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1997م: القسم الثاني: 486/6 .

(45) سكين الكّم: سكين ربما كانت تستعمل للدفاع عن النفس أولاً، ثم صارت زينةً ودليلاً على الرجولة وشرف المحتَدّ ثانيًا . ديوان لسان الدين بن الخطيب: 80/1 .

(46) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 333/1 .

(47) م . ن: 333/1 هامش رقم(257) .

(48) م . ن: 191/1- 192 .

(49) م . ن: 97/1- 98 .

(50) مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر: 120 .

(51) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 689/2 .

(52) م . ن: 652/2 .

(53) مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر: 120 .

(54) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة: 199/2 و263 ، وينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: القسم الثاني: 293/7 .

(55) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 219/1 .

(56) مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر: 121 .

(57) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 262/1 و 264 .

(58) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 297/1- 298 .

(*) الزُّلَيْجِ: نوعٌ من الآجر مدهون بدهان ملوّن بالأبيض والأسود والأزرق والأصفر والأخضر وما رُكِّبَ من هذه الألوان وغالبه الأزرق الكُحلي . ديوان لسان الدين بن الخطيب: 297/1 هامش رقم(119) .

(*) بني سعد: يُشيرُ إلى سعدٍ بن عبادة الذي ينتسبُ إليهِ بنو الأحمر . ديوان لسان الدين بن الخطيب: 298/1 هامش رقم(121) .

(59) نفاضة الجراب: 20/2 و183 .

(60) القُنَّبْ: نبات القُنَّبْ هو القُنَّبْ الهندي، وهو نوعٌ يُستَخرَجُ مِنَ المُخَدِّر الضّار المعروف بالحشيش والحشيشة. ديوان لسان الدين بن الخطيب: 153/1 هامش رقم(289) .

(61) ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر: 103 هامش رقم(4) والشاعر هو(ابن الوحيد ت:711هـ) .

(62) نفاضة الجراب: 21/2 .

(*) الصفّاعين: جمع صفّاع ومصفاعانيّ: وهو المُهرّجُ الذي يصفَعُ كثيراً . ينظر: نفاضة الجراب: 183/2 هامش رقم(2)

(63) نفاضة الجراب: 183/2 .

(64) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 153/1 .

(65) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 519/2 .

(*) مثل عاميّ لم يعثر على أصله . ديوان لسان الدين بن الخطيب:519/2 هامش رقم(264) .

(66) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 663/2 .

(67) أمثال العوام في الأندلس، عبيد الله بن أحمد الزجاليّ القرطبيّ(694هـ)، تحقيق وشرح ومقارنة: د. محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلّفة بالشؤون الثقافيّة والتعليم الأصلي- القاهرة، (د- ط)، (د- ت): 13/2

(68) ينظر: م . ن: 13/2 هامش رقم(39) .

(69) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 509/2 .

(70) حدائق الأزاهر في مُستَحسَنْ الأجوبة والمضحكات والحِكَمْ والأمثال والحكايات والنوادر، محمد بن محمد أبو بكر بن عاصم القيسيّ الغرناطيّ(ت:829هـ)، قرأه وعلّق حواشيه وقدّمَ له: عبد اللطيف عبد الحليم، دار الكتب والوثائق القوميّة- القاهرة، (د- ط)، 2009م: 299 ، وديوان لسان الدين بن الخطيب: 509/2 هامش رقم(191) .

(71) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 83/1 .

(72) م . ن: 328/1 .

(73) م . ن: 216/1 ، وينظر: 739/2-740 للغرض نفسهِ .

(74)ديوان لسان الدين بن الخطيب: 640/2 .

(75) م . ن: 85/1 .

(76) م . ن: 248/1 .

(77) ديوان لسان الدين بن الخطيب: 249/1 .

(78) م . ن: 98/1 .

المصادر

1- الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبدالله اللوشيّ الغرناطيّ الأندلسيّ الشهير بلسان الدين بن الخطيب (ت:776ه)، تحقيق: محمد عبدالله عنان، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 1424ه .

2- أزهار الرياض في أخبار عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت:1041ه)، ضبطه وحققه وعلّق عليه: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة فضالة- المغرب، (د- ط)، (د- ت) .

3- أمثال العوام في الأندلس، عبيد الله بن أحمد الزجاليّ القرطبيّ(694ه)، تحقيق وشرح ومقارنة: د. محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلّفة بالشؤون الثقافيّة والتعليم الأصلي- القاهرة، (د- ط)، (د- ت) .

4- حدائق الأزاهر في مُستَحسَنْ الأجوبة والمضحكات والحِكَمْ والأمثال والحكايات والنوادر، محمد بن محمد أبو بكر بن عاصم القيسيّ الغرناطيّ(ت:829ه)، قرأه وعلّق حواشيه وقدّمَ له: عبد اللطيف عبد الحليم، دار الكتب والوثائق القوميّة- القاهرة، (د- ط)، 2009م .

5- ديوان لسان الدين بن الخطيب، لسان الدين بن الخطيب(ت:776ه)، صنعه وحققه وقدّم له: د. محمد مفتاح، دار الثقافة للنشر والتوزيع- الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1989م .

6- اللمحة البدريّة في الدولة النصريّة، لسان الدين بن الخطيب(ت:776ه)، صححه ووضع فهارسه ناشره: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفيّة- القاهرة، الطبعة الأولى، 1347ه .

7- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة المرسيّ(ت:458ه)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة- بيروت، الطبعة الأولى، 2000م .

8- مظاهر الإبداع الحضاري في التاريخ الأندلسي، أ.د. محمد بشير حسن راضي العامري، دار غيداء للنشر والتوزيع- الأردن، الطبعة الأولى، 2012م .

9- مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، أ.د. أحمد محمد الطوخي، تقديم: أ.د. أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، (د- ط)، 1997م .

10- في الأدب الأندلسيّ، د. محمد رضوان الدّاية، دار الفكر المعاصر- سورية، الطبعة الأولى، 2000م .

11- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، لسان الدين بن الخطيب(ت:776هـ)، نشر وتعليق: د. أحمد مختار العبادي، مراجعة: د. عبد العزيز الأهواني، دار النشر المغربيّة- الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1958م .

12- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب(ت:776هـ)، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني(ت: 1041هـ)، تحقيق: احسان عباس، دار صادر بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1997م .

Social Manifestaions in the poetry of lisan Al-Dien ibn Al-khatib, An Analytical Study

Dr. Mohannad Younes Rashid

Faculty of Arts- University of Mosul

muhannad.y.r@uomosul.edu.iq

Keywords: literature. Ibn al-Khatib. Andalus

Summary:

The research aims to shed light on the positive and negative social aspects of Andalusia in the poetry of Lisan al-Din ibn al-Khatib in the era of Banu al-Ahmar, as these aspects expressed the reality of society and its environment, both positively and negatively, in the late eras of Andalusia, by stopping in the first section at (the religious holidays and occasions represented by the feasts of the Prophet's birthday. And the Eids of the blessed Fitr and the blessed Eid al-Adha, and the celebration of Laylat al-Qadr, and a description of some recreational games, and some of the customs of Andalusian society at the end of its era, such as describing the food and groups of society, and celebrating and calling for cleverness, and the knife of the sleeve, and describing the manifestations of luxury, grace, and comfortable living, and expressing their reality experienced by the last rulers of Andalusia and beyond. This is one of the positive aspects, and in the second section we looked at the negative aspects, which were represented by some bad habits that came as a natural result of a life of luxury and entertainment, such as (using narcotic plants (cannabis), using colloquial words in eloquent poetry, flirting with boys, especially black ones, and describing manifestations of poverty such as begging. And the redemption of the poor and destitute class among the general public, and the expression of its reality)